

ظاهرة الخواء الفكري لدى بعض الشباب

الاستاذ المساعد الدكتورة

منتهى مطشر عبدالصاحب

جامعة بغداد / كلية التربية للعلوم الصرفة - ابن الهيثم

قسم علوم الحاسبات

تعد مشكلة الخواء الفكري من اخطر المشكلات التي تواجه الشباب وتجعل عقولهم اشبه بالكهف المعتم ، اذ تجد الفرد الذي يعاني منه لا يهتدي الى طريق، ولا يعرف شيء عن سبب وجوده في الحياة . ونرى الكثير من الشباب اليوم اذا سألتهم ما هدفك بالحياة، ستجد ان البعض منهم ليس لديه اجابة عن هذا السؤال، فهو لا يعرف سبب وجوده في الدنيا اصلاً . ان المشكلة ان هذه الظاهرة لا تقتصر على فئة العامة والجهلة والأميين فقط، بل انها تنتشر بشكل اكبر بين الفئة المتعلمة من الشباب .

وقد شهدنا ما شهدناه في الآونة الاخيرة من اتساع قطر دائرة التأثير في ظاهرة الخواء الفكري هذه ليشمل العديد من وسائل التكنولوجيا والانصياح لأوامرها تماشياً مع ما يسمى بالتطور والحضارة ، والذي هو في اساسه نوع من الانسلاخ عن القيم والمبادئ والحق، واتباع الباطل ، وتهيئة العقول وتنظيمها الى ما يتصل بخدمة سياسات معادية للاسلام والعقيدة الدينية ، وهو بداية حافة الهاوية ، فنجد بعضهم يرتدي ملابس عليها كتابات غريبة بلغات اخرى لا يفهمون معناها مثل (انا يهودي ، انا كافر، آلهة البحر ، كن نصرانياً) ، او رسومات تخدش الحياء ، واخرى غير محتشمة . فضلاً عن التخلف الثقافي الواضح لدى بعض الشباب ، ومما لاشك فيه ان

هذا النوع من الحروب (الحرب الثقافية) على المجتمع أشد ضراوة من الحرب التقليدية ،
اذ ان التخلف الثقافي مسألة تذر بالشر على المجتمع .

وفي مجالسنا هذه الأيام نلاحظ كثرة الشكوى من العادات الوافدة على المجتمع ،
وعن الفجوة الحاصلة بين الآباء والأبناء في الأفكار والمأكل والملبس والثقافة، اذ ان
هناك فجوة كبيرة. في الوقت الذي نحن فيه بحاجة إلى إبراز طاقات الشباب الكامنة .

ونلاحظ إن مظاهر الخواء الفكري والثقافي لدى الشباب ساطعة للعيان ولا يمكن
ان تكون خافية على العين البصيرة ، ويكون التحقق من هذه الظاهرة بالمقارنة بين عدد
المؤسسات المعنية بالثقافة كالمكتبات العامة والأهلية والنوادي والملتقيات الثقافية والأدبية
والعلمية الهادفة وبين غيرها من الاماكن مما في الجانب الآخر، وإذا أحسست بشيء من
الشك في هذا الكلام وذاك فعليك بمجالسة الشباب والتحدث اليهم لتكتشف السطحية في
تفكيرهم وتتعرف على المواضيع التي تستجلب اهتمامهم وتسترعي انتباههم، ولا يملون
الكلام عنها ، وما المواضيع التي يتضايقون ويتدمرون من ذكرها او مناقشتها . وقد
امتألت عقولهم بكل ما هو غير مفيد ، فأن ما يستحوذ على تفكيرهم اليوم هو التعصب
الرياضي ومتابعة مباريات الكرة والانترنت وحرق الوقت أمام شاشة التلفاز او جهاز
الموبايل بالساعات وارتياح مواقع واللعب بالالعاب الالكترونية تكون مضارها أكثر من
فائدتها ، فضلاً عن القنوات الفضائية وما تبثه من إسفاف في الفن إلى برامج شعرية
هزيلة تبث الفرقة وتزرع العصبية والتفاخر بالأنساب . ومن الشباب من احرقوا أوقاتهم
في الجلوس على قارعة الطرقات لحاجة ولغير ، ومتابعة المارة ولم يتعلموا حتى آداب
الطريق .

إذا أردنا معرفة المسؤول عن وصول الشباب لذلك المستوى من السطحية في
التفكير فإننا أمام مجموعة من العوامل المترابطة والمتشعبة بحيث يصعب فصل بعضها
عن الآخر، لأن هذه نتيجة عوامل متراكمة، سنناقشها من أطراف مختلفة، أهمها :

1 - الأسرة : وتعد المعقل الأول للشباب من صغره ، ومما نلاحظه انها فقدت دورها التوجيهي ورسم اتجاهات التفكير وتنمية الإبداع ، واقتصر دورها على توفير الغذاء البدني والعاطفي ، دون الغذاء العقلي المضاد للخواء الفكري لديهم.

كما نلاحظ ان أساليب التنشئة الوالدية قائمة على تنمية الترف والعجز الفكري ومبادئ التسلية والترفيه أولاً وتسطيح الاهتمامات، وإهمال أعمال العقل والفكر والتنمية الذاتية لدى الأبناء .

2 - وسائل الإعلام : تعرض بعض وسائل الإعلام فكراً خاوياً يفتقر الى مضمون وفي نفس الوقت نجده مؤثر في الشباب، فالاعلام مفتوح على مصراعيه لكل ما هب ودب وليس هناك قدرة على وقف هذا الزحف الفضائي ، مما يشكل هجوماً شرساً على الشباب وقيمهم . اذ باتت بعض وسائل الاعلام تبت وتقدم ما يخالف العادات والتقاليد ، وربما أحياناً يخالف الدين، واضحت تقدم قوالب ملمعة وجاهزة لشخصيات لا قيمة لها - أو تمثل الخواء الفكري - على أنها شخصيات ناجحة وتتخذ كنمط للقدوة لفئات الشباب. واصبح الشباب يتأثر بالممارسات الخاطئة لبعض اللاعبين او الممثلين او المطربين العرب والأجانب فيرتدون ملابس تحوي عبارات ضد الأخلاق ومعادية للدين . فضلاً عما تعرضه هذه الفضائيات من تسلية ، اذ نلاحظ كثرة الترفيه الذي طغى على برامجها بشكل يشغل معظم أوقات الشباب حتى ضاقت أوقاتهم عن تناول كتاب لقراءته أو فتح موقع الكتروني علمي يستفيد منه أو حضور درس أو محاضرة مفيدة .

ولا نهمل دور الاعلام والصحافة المكتوبة ، والتي ساهمت ايضاً في هذه الظاهرة، اذ نجد الكثير من الكتاب والصحفيين يمارسون الإرهاب الفكري وهم يسمون أنفسهم بالمتحررين، من خلال طرحهم وكتاباتهم التي يرومون من ورائها الربح المادي وتسميم عقول الشباب بأفكار غربية غير مقبولة في مجتمعنا الاسلامي .

3 - شبكة الانترنت : لا يمكن اغفال دور اهم وسيلة من وسائل الاتصال في الوقت الحاضر في نشوء ودعم ظاهرة الخواء الفكري وهوي الشبكة العنكبوتية العالمية (الانترنت) ، اذ ان مصطلح العالم قرية صغيرة قد حول العالم الى قرية واحدة في القيم والمعتقدات لدى شباب لا يهتم سوى بالتقليد والمحاكاة ، فما نراه من ثورة معلوماتية وعولمة في تقنية المعلومات فتح مجالات التواصل العالمي على مصراعيها دون أن يكون هناك تأصيل يحميهم أو سياج يمنع عنهم بعض الخطر، ودون مناقشة وحوار يبين لهم ويوضح لهم الخطأ من الصواب، والنافع من الضار، خاصة أن كثيراً منهم قد يعجب بما لدى الآخر، ويقع في التعلق به بحسب ما عنده من الفراغ .

4 - مؤسسات التربية والتعليم : ان واقع المؤسسات التربوية ولد لدى الطلاب خاصة والشباب عامة بأنها شبه سجون تقضى فيها المحكومية من الصباح إلى الانصراف ، ويجب عليهم ان يجدوا ملجأ آخر للمتعة وقتل وقت الفراغ لديهم . كما ان ضعف اداء بعض المؤسسات التربوية والتعليمية أدى إلى ضعف العطاء الثقافي الذاتي لدى الشباب بحيث كان من السهولة بمكان انغماس الشباب إلى ممارسات غير سوية ترمي بهم في أمراض اجتماعية مع وجود الخواء الفكري والتحريف الثقافي الغربي والاحباط النفسي لدى الشباب وقتل في ذواتهم الرغبة في القراءة وحب المعرفة، فمثلاً دور الجامعة او المدرسة في وجود الخواء الفكري لا يمكن إنكاره، كما لا يمكن عرضه من خلال كلمات معدودة ويحتاج إلى دراسة معمقة ، فدور المؤسسات التعليمية يعتريه بعض التقصير في بعض الأحيان، ويحتاج إلى مراجعة كبيرة، بدءاً من لغة التخاطب الاستعلائية المستخدمة ومروراً بالمناهج وأسلوب تقديمها، فهي لم تقدم دورها كما ينبغي، وهي تفتقد للبرامج الفكرية الناجحة ، كالمكتبة المكتملة بجميع الكتب والمجلات التي تعزز ما

سمعه الطالب وتلقاه من التدريسي أو سمع عنه ويريد تأصيله والبحث عنه وتوسيع مداركه .

فضلاً عن تقاعس مؤسسات التعليم عن القيام بمهام تحتضن فيه الطالب بحيث لا يستطيع الطالب إبراز مواهبه وتفريغ طاقاته اثناء وجوده فيها، وخير دليل على ذلك ظاهرة التسرب منها والغياب المتكرر لدى الطلبة .

كما ان عدم اهتمام بعض التدريسيين بأشغال الطلبة بالواجبات اليومية لقتل اوقات الفراغ لديهم من الأسباب الرئيسة للانحراف الفكري والاتجاه نحو الكتب المنحرفة العربية والعبارات المتطرفة والقنوات الفضائية ذات النزعة غير المقبولة والعطاء الغنائي المبتذل والرخيص وما تمثله من خطورة فكرية وثقافية واجتماعية وسياسية.

ونجد ان بعض مناهج التعليم في الجامعة القائم على الحفظ وعزل المناهج عن واقع الحياة والبيئة المحيطة بالفرد ، متانسياً ان مبدأ التربية الحديث يرى ضرورة تعليم المتعلم كيفية التفكير لحل كل ما يعترضه من مشكلات في مختلف مجالات الحياة .

انطلاقاً من هذه الاسباب ومحاولة لوضع حلول مقترحة لهذه الظاهرة نضع النقاط الآتية :

1 - يجب على الاسرة القيام بدورها الاساس في تنشئة عقول ابنائها منذ نعومة أظافرهم على حب المعرفة وترتيب أولويات اهتماماتهم الشخصية. والعمل على ترسيخ القيم والمثل العليا لديهم ، ومحاولة تنمية حب القراءة الهادفة والاطلاع على ما يقوي الثقة بالنفس لدى الابناء حتى ولو كان بعيداً عن المنهج الدراسي ، والسير على الطريق الصحيح في العلاقة مع الله ، وعدم اتباع الاهواء ، وتوعيتهم بالحرز من الدعوات

المضلة والمشبوهة والتي غالباً ما تخرج بمظهر جذاب وتحوي الشر والبلاء. ومحاولة مقاومة الثقافات الغربية والغريبة لدى ابنائهم، وان يكون الاهتمام بتربية الابناء مظهراً وجوهراً قلباً وقالباً .

وفي هذا الصدد فنحن بحاجة الى توعية الاسر الى ضرورة تقوية العلاقة وزرع الثقة بين الوالدين والأبناء والبنات، وتشجيعهم على إبداء الرأي ومناقشة ما يطرح، وتعويدهم على التمييز بين الصواب والخطأ.

2 - ان وسائل الإعلام ، وكما أن لها دوراً فاعلاً في ظهور هذه الظاهرة، فكذلك لها دور كبير في علاج هذه الظاهرة إذا احسن التوجيه فيها ،،اذ بأستطاعته أن يكون أداة بناء، وأن يكون معول هدم.

لذا يجب اعادة النظر في الصحف والبرامج والافلام والمسلسلات المقدمة والتي تنتفخ باللونات الخواء الفكري في عقول الناشئة وان يكون هناك احترام لعقول الأفراد لأنها هبة من الله ، فيجب الحفاظ عليها . وعلى الاعلام بث الأفكار الصحيحة، وبيانها والحديث عنها مع الشباب وفي وسائل الإعلام المختلفة .

3 - على وزارة التجارة منع دخول الملابس والإكسسوارات الغربية والمكتوب عليها عبارات غير مقبولة دينياً واجتماعياً ، وسحب ما يوجد منها في الأسواق وإتلافها على الفور، ومحاسبة المخالف، واتخاذ الإجراءات القانونية والنظامية ضده .

4 - ان تتبنى الحكومة مشروع يهدف الى نهضة حقيقية تركز على مبادئ الدين الاسلامي الحنيف ، ومحاولة تشجيع الشباب على الاعتزاز بدينهم وهويتهم وعدم تلقي العلم إلا من أهلهم، ودعوة الشباب لعدم الانجراف وراء أدوات الغرب بدعوى الحرية، مؤكداً أن الحرية هي انضباط دون التعدي على حرية المجتمع . كما يجب عليها تهيئة الأجواء لمشاركة الشباب في خطط التنمية وحماية الوطن من أي استهداف خارجي يهدد

الاستقرار والوحدة الوطنية ويتصدى لأي عمل عبثي مضر بالوطن والمواطنين . وأن يصبح هذا المشروع وطنياً على مستوى العالم الإسلامي .

5 - محاولة الجامعات اشراك الطلبة بالنشاطات العلمية كالندوات والمؤتمرات العلمية والثقافية. فضلاً عن النشاطات التطوعية . وتُشكّل لجان في الكليات توجه الطلبة الى مافيه فائدة وممتعة بأسلوب مسيطر عليه ومراقب ، مثل فتح نوادٍ ترفيهية تحفل بالمتعة والمسابقات والتمثيل والكتب الجميلة.

ضرورة استقطاب الأكاديميين المؤهلين في علم النفس والاجتماع للتعامل عن قرب ومعايشة واقع الشباب في الجامعات من خلال تفعيل دور المرشدين التربويين والنفسيين بشكل فاعل وحيوي ، والابتعاد عن توفير هذه اللجان بشكل شكلي ، لا يتعدى عن حمل اسم العمل المناط بها دور محاولة التركيز على العمل نفسه والمتمثل بالتوجيه والارشاد.

6- يجب على المفكرين والدعاة والمصلحين ورجال الدين أن يثيروا أهل العزم والحزم من الأمة الإسلامية بأن يبعثوا من جديد هذا الوعي الحضاري والبناء الفكري في عقول الجميع وبالاخص الشباب ، ويقدموا لأفراد الأمة العدة الكافية والعتاد اللازم لخوض المعركة الحضارية التي زاد سعيها بعد اندفاع سيل العولمة في كل أودية الفكر والثقافة والاقتصاد في مجتمعاتنا .

7- على دور العبادة استثمار أوقات الشباب في برامج التنمية الذاتية التي تخدم الفرد والمجتمع معاً .